العنوان: نشأة الفرق الإسلامية : أسبابها و طبيعتها

المصدر: مجلة كلية أصول الدين

الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين بالرياض

المؤلف الرئيسي: المحمود، عبدالرحمن بن صالح

المجلد/العدد: ع 4

محكمة: نعم

التاريخ الميلادي: 1982

الصفحات: 270 - 294

رقم MD: 103126

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: IslamicInfo

مواضيع: السنة النبوية، الفرق الإسلامية، التاريخ الإسلامي، أصول الفقه، العقيدة الإسلامية، الأحاديث النبوية، الإختلاف، النزاعات، العالم الإسلامي، الأحوال السياسية، الأحوال الإقتصادية، التأويل، الفتوحات الإسلامية، اليهود، النصارى، الفلسفة اليونانية، الوثنية

رابط: http://search.mandumah.com/Record/103126

نشأة الفرق الإسلامية

أسبابها وطبيعتها

بقلم

الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود

المحاضر بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية أصول الدين بالرياض

نشأة الفرق الاسلامية أسبابها وطبيعتها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد : –

فكثيراً ما يعرض لبعض الناس تساؤل حول ما وقع في الأمة الإسلامية من اختلاف وتفرق أدى إلى نشوء فرق ومذاهب انحرفت عن العقيدة الإسلامية الصحيحة وتبنت آراء ومعتقدات بعيدة عما كان عليه سلف الأمة – رضوان الله عليهم –

وهذا البحث يعرض لمناقشة هذا التساؤل ببيان أسباب نشوء الفرق وطبيعة نشأتها ، وهو يشمل :

(أ) تمهيد حول حديث الافتراق الوارد .

(ب) أسباب وطبيعة نشأة الفرق الإسلامية : –

أولا : أسباب عامة .

ثانياً : أسباب داخلية .

ثالثاً : أسباب خارجية .

وفي أثناء البحث عرفت بالأعلام وبالفرق وبالمصطلحات الغامضة التي وردت وأسأل الله التوفيق والسداد .

(أ) تمهيد حول حديث الافتراق :

قبل أن ندخل في تفصيل موضوع أسباب نشأة الفرق الإسلامية قد يكون من المناسب أن نعرض للحديث الذي رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر فيه بافتراق اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة ، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وبأن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلُّها في النار إلا واحدةً .

وهذا الحديث كثيراً ما يستشهد به الذين يكتبون عن الفرق الإسلامية ، بل ويحاول البعض أن يقسِّم الفرق ويعددها بحيث تصل إلى العدد الوارد في هذا الحديث ، ولا شك أن هؤلاء مجتهدون ولكن حصر الفرق في زمن ما من الأزمان بعدد معين غيرُ منضبط ، خاصة إذا أدركنا أنه في كل عصر قد تنشأ فرق جديدة . وإذا كانت الفرق التي وجدت منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى الآن قد كثرت وزادت على ثلاث وسبعين فرقة ، فإن تحديد الفرق المقصودة في الحديث لا بد أن تختلف فيه وجهات العلماء وآراؤهم بحيث لا ينتهون إلى رأي محدد .

وسنعرض لبعض طرق هذا الحديث كما وردت في السنن ، ونبيّن أن هذا الحديث ثابتٌ وصحيحٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي دعانا إلى هذا ما قرأناه لبعض الكتاب المحدثين حين قال : « والعلماء يختلفون في صحة هذا الحديث ، فمنهم من يقول : إنه لا يصح من جهة الإسناد أصلا لأن ما من إسناد روي إلا وفيه ضعف ، وأوضح أن الحديث الذي في رواته ضعيف لا يجوز الاستدلال به ، ومن هؤلاء الذين ضعفوا هذا الحديث وقالوا بعدم الاستدلال به أبو محمد ابن حزم(١) ،

---

(١) (ابن حزم) : هو علي بن أحمد بن حزم بن غالب الأندلسي القرطبي اليزيدي ، الظاهري ، عالم الأندلس في عصره ، كان له أتباع كثيرون ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ ﻫ ، كان فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة ، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء فتمالأوا على بغضه فنفي إلى بادية لبلة (من بلاد الأندلس) فتوفي بها ، له كتب كثيرة منها : المحلى – والفصل في الملل والأهواء والنحل ، وجمهرة أنساب العرب ، والأحكام في أصول الأحكام ، توفي سنة ٤٥٦ ﻫ (الأعلام للزركلي ٥/٥٩ ، ومعجم المؤلفين : عمر رضا كحالة ٧/١٦) .

وقد ذكر ابن حزم أن حديث الافتراق لا يصح أصلا من طريق الاسناد في (الفصل ٣/٢٤٨ – ط الخانجي بالقاهرة) ، لكنه صحح حديثاً آخر بلفظ « تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها =

صاحب كتاب« الفِصَل في الملل والنحل »(١) .

وهناك كتاب آخر ، أنكر هذا الحديث وأشار إلى أنه لا يمكن أن يكون صحيحاً ، وعلل ذلك بأسباب عقلية عجيبة تنمّ عن جهل فاضح بالسنة ، بل وبمكانة النبي صلى الله عليه وسلم ونبوّته ، ولسنا بحاجة إلى ذكر هذه الأسباب والرد عليها فهي لا تستحق الرد ، ولكن نذكر واحداً منها لعله يُعرّفنا بعقلية صاحبها قال : « ثانيا : أنه ليس في وسع النبي أن يتنبأ مقدماً بعدد الفرق التي سيفترق إليها المسلمون »(٢) .

وبعض علماء الإسلام تلقوا هذا الحديث بالقبول لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم(٣) . وقد ورد الحديث بروايات متعددة نذكر منها ما يلي : —

١ — عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تَفَرَّقَتِ اليهودُ على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة »(٤) وفي رواية أخرى مثله إلا أنه

= فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم ، فيحلون الحرام ويحرمون الحلال » ذكره ابن حزم في الأحكام في أصول الأحكام جـ ٨ ص ١٠٦٨ — مطبعة العاصمة وقال عنه أحمد شاكر « هذا حديث ضعيف » .
انظر حاشية الأحكام نفس الجزء والصفحة .

(١) مقدمة تحقيق كتاب « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي ص ١٣ — والمقدمة لطه عبد الرؤوف ومصطفى الهواري ، طه ١٣٩٨ هـ — مكتبة الكليات الأزهرية .

انظر أيضاً : « الفرق بين الفرق » للبغدادي ، ص ٧ — الحشاشية — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — الناشر : دار المعرفة : بيروت .

(٢) مذاهب الإسلاميين : عبد الرحمن بدوي ٣٤/١ — ط الأولى ١٩٧١ م در العلم للملايين : بيروت .

(٣) من هؤلاء البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » ص ٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ومنهم الشاطبي في « الاعتصام » ١٨٩/٢ ، ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « تاريخ المذاهب الإسلامية » ١١/١ فقد قال : « وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً بحيث لا تبقى ريبة في حاصل معناه» ص ١١ — وغيرهم .

(٤) رواه الترمذي : كتاب الإيمان — باب ما جاء في افتراق هذه الأمة » ٢٥/٥ ورقمه ٢٦٤٠ — تحقيق إبراهيم عطوة عوض — ط الثانية ١٣٩٥ هـ وقال الترمذي في تعليقه على هذا الحديث : « حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح » .

قال : وَتَفَرَّقَتِ النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة »(١) .

٢ — وعن أبي عامر الْهَوْزَني عن معاويةَ بن أبي سفيان — رضي الله عنه — أنه قام فينا فقال : ألا إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة هي الجماعة — زاد يحي وعمرو في حديثيهما : وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الْكَلَبُ لِصَاحِبِهِ » ، وقال عمرو : « الكَلَبُ بِصَاحِبِهِ ، ولا يبقى منه عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دخله »(٢) .

٣ — وعن عبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي »(٣) .

٤ — وعن عوف بن مالك — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ،

---

(١) رواها أبو داود : كتاب السنة : باب شرح السنة ٤/١٩٧ — رقمه ٤٥٩٦ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

(٢) رواه أبو داود : كتاب السنة باب شرح السنة ٤/١٩٨ ورقمه ٤٥٩٧ ، قال عبد القادر الأرناؤوط : سنده صحيح — جامع الأصول ١٠/٣٢ . ط عام ١٣٩٢ هـ .

(٣) رواه الترمذي : كتاب الإيمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ورقمه ٢٦٤١ — ٥/٢٦ تحقيق : إبراهيم عطوة عوض — ط الثانية ١٣٩٥ هـ ، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ١٠/٣٤ عند هذا الحديث : « وفي سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي ، وهو ضعيف ، لكن يشهد له معنى الحديثين اللذين قبله (واللذين ذكرناهما نحن أيضاً) فهو بهما حسن » .

واحدة في الجنة ، وثنتان وسبعون في النار » قيل يا رسول الله : من هم ؟ قال : الجماعة »(١) .

٥ — وعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة وهي الجماعة »(٢) .

وأحاديثُ افتراقِ الأمةِ مشهورةٌ ، مرويةٌ في كتب السنة ، كالسنة لابن أبي عاصم ، والشريعةللآجُرّي(٣) ، وقد عزاه السيوطي إلى الأربعة ورمز له بالصحة ، وقال المناوي : رواه أيضاً الحاكم والبيهقي .(٤) وهكذا فالحديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلموقد وقع ذلك وتفرقت الأمةفرقاً كثيرة في مجال العقيدة وأصول الدين التي عليها وحدها مدار الحديث .

(ب) أسباب وطبيعة نشأة الفرق الاسلامية :

ليس المقصود من اختلاف الفرق الإسلامية هذا هو كل اختلاف بل ما نعنيه في هذا العنوان هو الاختلاف الخاص في أصول الدين وشؤون العقيدة ولكي يكون الأمر واضحاً لا بد من إدراك الملاحظات التالية : —

الملاحظة الأولى : أن الخلاف ينقسم إلى قسمين : قسمناشيء عن الهوى ، وهذا هو الاختلاف المذموم ، وقسم ناشيء عن الاجتهاد واختلاف الأفهام وهذا اختلاف غير مذموم .

---

(١) رواه ابن ماجه كتاب الفتن : باب افتراق الأمم ١٣٢٢/٢ ، ورقمه ٣٩٩٢ — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي — وقد أورد هذه الرواية الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣٥٧/١ رقم١٠٩٣ — ط المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ .

(٢) رواه ابن ماجه : كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم ١٣٢٢/٢ رقمه ٣٩٩٣ وفي الزوائد إسناده صحيح .

(٣) انظر السنة لابن أبي عاصم جـ ١ ص ٣٢ وما بعدها . تخريج الألباني — ط الأولى ١٤٠٠ هـ وانظر الشريعة للآجري ص ١٤ وما بعدها . تحقيق حامد الفقي — ط ١٣٦٩ هـ .

(٤) فيض القدير ٢٠/٢ — ط الثانية ١٣٩١ هـ .

الملاحظة الثانية : أن الاختلاف بين البشر أمرٌ طبيعي ،وموجودٌ منذ نشأة هذا الإنسان على هذه الأرض بعد إغواء إبليس لآدم ، حيث أُهبط آدم من الجنة ، وأُنظر إبليس إلى يوم القيامة ليقوم بالسعي لإغواء كثير من الناس وإضلالهم ، فصاروا متفرقين إلى حزبين : حزب الله ، وحزب الشيطان .

والاختلاف نشب قديماً بين أفراد وجماعات ، فابنا آدم اختلفا وقتل أحدُهما الآخرَ حسداً ، ونوح — عليه السلام — خالفه كثير من قومه بل اختلف معه ابنه ، وكذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أممهم ، وكان الخلاف يقع حتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن كان القرآن ينزل لرأب الصدع وفصل القــول . . . . .

والقصد من هذه الفقرة بيان أن الاختلاف قديمٌ وليس بدعاً في الإسلام ، وأن ما سنشرحه — إن شاء الله — إنما هو خاص في نشأة الفرق الإسلامية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الملاحظة الثالثة : أن هناك وقائع من الاختلاف غير المذموم —وهو الناشيء عن الاجتهاد — وقعت بين الصحابة — رضوان الله عليهم — ولكنه اختلاف ناشيء إما من الجهل بالدليل ، وإما من اختلاف وجهات النظر في فهمه ولذلك سرعان ما يحسم كبار الصحابة هذا الخلاف ويعود الجميع إلى الوفاق ، ومن ذلك :

١ — الخلاف الذي وقع بين الصحابة — رضوان الله عليهم — عند الوجع برسول الله حين حضرته الوفاة ، فقد روى ابن عباس — رضي الله عنهما — قال : « لما حُضر رسول الله صلى الله عليه وسلم — وفي البيت رجال — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هَلُمُّوا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، فقال بعضهم : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قرِّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا » قال عبيد الله ، فكان يقول ابن عباس : إنَّ الرزيّة كل الرزية

ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أنْ يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم »(١) .

٢ ـ الاختلاف في إمارة أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم قبيل وفاته ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل . وأَيْمُ اللهِ إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده »(٢) ، ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف الصحابة في إنفاذ جيش أسامة حتى أنفذه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ(٣) .

٣ ـ الاختلاف في وفاته صلى الله عليه وسلم ، وهل مات حقاً أم لا ؟ وقصة عمر وأبي بكر مشهورة ، حتى ثاب عمرُ ومن معه إلى قول أبي بكر وأيقنوا بانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى(٤) .

٤ ـ الاختلاف في مكان دفنه صلى الله عليه وسلم ، فقد أراد أهلُ مكة دفنه فيها ، وأراد أهلُ المدينة دفنه فيها ، وأراد آخرون دفنه في بيت المقدس لأنه موضع دفن الأنبياء ، بل قد اختلفوا في المكان الذي يحفر له فيه ، فقيل يدفن في مسجده ، وقال آخرون : يدفن مع أصحابه ـ ولما حدث هذا الخلاف قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قُبض نبي إلا دُفن حيث يقبض(٥) » فحسم الخلاف .

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، فتح الباري ١٣٢/٨ ـ الطبعة السلفية .

(٢) رواه البخاري : كتاب المغازي . باب بعث أسامة ـ فتح الباري ١٥٢/٨ .

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ١٥٢/٨ ـ الطبعة السلفية .

(٤) القصة رواها البخاري ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ـ فتح الباري ١٤٥/٨ .

(٥) رواه ابن ماجه ، كتاب الجنائز ، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم ٥٢٠/١ ، رقمه ١٦٢٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ورواه مالك أيضاً في الموطأ بلفظ مقارب لهذا : كتاب الجنائز ، باب ماجاء في دفن الميت ٢٣١/١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ ورواه الترمذي لكن بلفظ : « ما قبض الله نبياً =

٥ – ثم كان الاختلاف الكبير بين المهاجرين والأنصار حول من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء ، ثم دار حوار انتهوا بعده إلى الاتفاق على بيعة أبي بكر الصديق – رضي الله عنهم أجمعين .–(١) .

٦ – ثم كان الاختلاف حول المرتدين ، وما نعي الزكاة خاصة حتى انتهوا إلى رأي أبي بكر في قتالهم(٢) . إلى غير ذلك من حوادث الاختلاف غير المذموم .

الملاحظة الرابعة : أن الخلاف في فروع الفقه الذي جاء على أثره المذاهب الأربعة المشهورة وغيرها ، إنما هو خلاف طبيعي له مايبرره ، وقد كُتبت حول أسبابه كتبٌ كثيرة(٣) . وهذا الاختلاف لا يدخل مطلقاً في موضوع الفرق الإسلامية لأنه خلاف في غير العقيدة وأصول الدين ، ولأنه خلافٌ ناشيء عن اجتهاد .

والآن بعد هذه الملاحظات ننتقل إلى أسباب وطبيعة نشأة الفرق الإسلامية مع ملاحظة أننا حينما نقول « الفرق الإسلامية » لا يعني أنها كلّها داخلةٌ في الإسلام ، بل منها ما هو خارج عن الإسلام ولكنها تدّعي الانتسابَ إليه ولو بوجه من الوجوه، والفرق كلها تقرب وتبعد بمقدار قربها وبعدها من الإسلام الصحيح الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن سار على نهجهم من سلف هذه الأمة .

= إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه » : كتاب الجنائز باب (٣٣) رقمه ١٠١٨ – ٣٢٩/٣ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وقد روى من غير هذا الوجه – وهذا الحديث رمز له السيوطي بما يفيد أنه حسن – أنظر فيض القدير ٤٥٩/٥ – رقمه : ٧٩٥٦ .

(١) القصة بطولها رواها البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذاً خليلا – فتح الباري ١٩/٧ وما بعدها .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، فتح الباري ٢٦٢/٣ – وانظر فيما سبق « النظم الإسلامية : نشأتها وتطورها » صبحي الصالح ص ٧٠ وما بعدها ط الثالثة ١٣٩٦ هـ دار العلم للملايين بيروت – لبنان .

(٣) منها : رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ، والإنصاف في بيان سبب الخلاف في الأحكام الفقهية تأليف شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي – ولكل من المشايخ : على الخفيف ، وأبي الفتح البيانوني ، وعبد الله التركي كتاب في أسباب اختلاف الفقهاء .

أسباب نشوء الفرق الاسلامية

الاختلاف المذموم يقع أول ما يقع صغيراً ثم لا ينشب أن يتسع حتى يصير خلافاً كبيراً وتفرقاً يؤدي في النهاية إلى المواجهة والخصام وكذا الحال بالنسبة لنشوء الفرق الإسلامية . ويمكن أن تقسم أسباب نشـــوء الفرق الإسلامية وتطورها إلى ثلاثة أنواع من الأسباب : —

أولا : أسباب عامة .

ثانياً : أسباب داخلية .

ثالثاً : أسباب خارجية .

أولا : أسباب عامة :

ونعني بها الأسباب التي لا ترتبط بموضوع معين ، بل قد تكون سبباً في أيّ خلاف ، وأهمها : —

١ — الاختلاف الفكري بين الناس ، واختلاف مداركهم وعقولهم ، فكلما ترقى الإنسان في معرفته وأفكاره واطلاعه على أمور جديدة كلما أعمل عقله فيها وقال برأيه ، فمن هؤلاء من تكون له نظرة سطحية للأمور ، ومنهم من يحاول أن ينفذ إلى حقيقة الشيء فيقع تحت متاهات فكرية ، وهكذا ينشأ الخلاف .

٢ — غموض بعض الموضوعات ومعلوم أنَّ كلَّ موضوعٍ غامضٍ إذا ما زيد في البحث فيه ازداد غموضاً ، ومن ثم يختلف الناس حوله وتتعددُ آراؤهُمْ .

٣ — اختلاف الرغبات والشهوات بين الناس فغالباً ما يكون ذلك داعياً إلى تشرُّب فكرة ما والتعصب لها لكونها توافق هوى أو رغبة لصاحبها .

٤ — حبُّ السلطة والمكانة : وهذا أهم الأسباب ، فقد يصل بعضُ الأفراد إلى مكانة ما علمية ، أو اجتماعية ، فتجده يحاول الحِفاظ عليها ولو بمخالفة مايؤمن به ويعتقده إذا كان يرى أن المخالفة تبقيه على مكانته ، أو ترفعه قليلاً (١) .

---

(١) انظر في الأسباب العامة : تاريخ المذاهب الإسلامية : محمد أبو زهرة ١/٥ وما بعدها نشر دار الفكر العربي ط : ١٩٧٦ م .

ثانية : أسباب داخلية :

أي : أسباب من داخل العالم الإسلامي ، ونابعةٌ من ظروفه الخاصة ولا دخل للمؤثرات الأجنبية فيها . وأهمها :

١ ـ الحقد على الاسلام والمسلمين :

هذا السبب بالذات داخلي وخارجي . ونعني به هنا : ذلك الحقد على المسلمين حين انتصروا ذلك الانتصار السريع الساحق في مدة قصيرة جداً مما جعل الحاقدين من المنافقين وضعاف الإيمان يحاولون إثارةَ كل فتنة أو نعرة بين المسلمين ،وتغذيتها حتى تستفحل وتكبر ، ولا شك أن الخلاف الذي وقع بين الصحابة خاصة زمن عليّ ـ رضي الله عنه ـ كان الحاقدون من هؤلاء هم سببه الرئيسيّ .

٢ ـ أسباب سياسية :

نعني بالسياسة ما يتعلق بالخلافة والملك ، وذلك بعد قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ حيث نشأ الخلاف حول المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه ، وما نشأ عنه . كلُّ ذلك ساهم في نشوء بعض الفرق مثل الشيعة والخوارج وغيرهم(١) .

وأغلب ما حدث في تاريخ المسلمين من غزوات حيوية فكرية أو ثورات حيوية فكرية إنما انقلبت إلى ثورات سياسية نشأت عنا الفرق مثل : الكَيْسَانِيّة(٢) :

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ١/١١٠ ـ ط مكتبة الرياض الحديثة ، وانظر أيضاً : القرآن والملحدون : محمد عزة روزة ص ٢٥٦ ـ ط الأولى ١٣٩٣ هـ المكتب الإسلامي وانظر أيضاً : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام : الدكتور : محمد على أبو ريان ص ١٣٨ ـ ط ١٩٧٦ م دار النهضة العربية بيروت ، وانظر ضحى الإسلام : أحمد أمين ٣/٤ .

(٢) (الكيسانية) هي إحدى فرق الرافضة من الشيعة ، والكيسانية هم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي خرج وطلب بدم الحسين ، ودعا إلى إمامة محمد بن الحنفية وكان يقال له كيسان ويقال : إنه تلقى مقالته من مولى لعلي اسمه كيسان ، والكيسانية فرق متعددة ويجمعها أمران : ـ القول بإمامة محمد بن الحنفية ، وقد غلوا فيه ـ وقولهم بجواز البداء على الله كما هو عند الباطنية ، وأهم فرق الكيسانية : المختارية ـ الهاشمية البيانية ـ الرزامية . (أنظر مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٩١ . وأنظر الفرق بين الفرق ص ٣٨ وانظر الملل والنحل ١/١٤٧) .

وخليفتها القرامطة(١) . الشـيعة الإسماعيلية(٢) : وخليفتهـا الدولة الفاطمية(٣) . الزيدية(٤) : وخليفتها دول الزيود في المغرب وفارس

---

(١) (القرامطة) : لقبوا بهذا اللقب نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط ، كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية ، وكان حمدان هذا من أهل الكوفة فلقيه أحد دعاة الباطنية وأثر عليه فاعتنق مذهبهم ، ولهذا عدهم الغزالي ضمن فرق الباطنية ، والأشعري في المقالات عد القرامطة من فرق الرافضة وأنهم يقولون بسبعة أئمة منصوص عليهم وسابعهم محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وزعموا أنه حي إلى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض وأنه هو المهدي ، والقرامطة خرجوا سنة ٢٨١ في خلافة المعتضد بالله ، وقويت شوكتهم واستباحوا مكة سنة ٣١٧ هـ » (انظر : فضائح الباطنية للغزالي ص ١٢ تحقيق عن الرحمن بدوي – ومقالات الإسلاميين ١/١٠٠) .

(٢) (الإسماعيلية) سميت بذلك نسبة إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ويقوم مذهبهم على الإمامة بالنص ، وهم من طوائف الشيعة والباطنية ، وهم فرقتان : الأولى – فرقة الاسماعيلية الخالصـة الذين يقولون إن إسماعيل بن جعفر (الذي توفي في عهد والده) هو المهدي المنتظر .

والثانية : فرقة الاسماعيلية الباطنية الذين قالوا بإمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهؤلاء هم الغلاة الباطنيون . وأهم مبادئهم : أن الإمامة انتهت بمحمد ابن اسماعيل وهو السابع ، وادوار الإمامة عندهم سبعة سبعة – وقالوا بالإمام الصامت والناطق (الصامت الغائب ، والناطق الحاضر) وبأقوال الباطنية الغلاة – وقد أقاموا دولتهم المسماة (الدولة الفاطمية) التي تبنتها أسرة عبد الله ابن ميمون القداح (توفي سنة٢٦١ هـ) والاسماعيلية موجودون إلى اليوم ومن فرقها (الأغاخانية) و(البهرة) و(الدروز) . (انظر : الفرق بين الفرق ص ٦٢ – ٦٣ ، وفضائح الباطنية ص ١٦ ، والصلة بين التصوف والتشيع د . كامل مصطفى الشيبي ص ١٩٥ – ٢١٣ – ط الثانية – دار المعارف بمصر) .

(٣) الدولة الفاطمية) : هي دولة تمخضت عن فرقة الا سماعيلية الباطنية ، أول من دعا إليها أبو عبد الله الشيعي الذي ذهب إلى المغرب ، ونشر دعوته . وفي سنة ٢٩٧ هـ استدعي عبيد الله داعي الاسماعيلية الكبير وقامت دولة الفاطميين في المغرب ، وأعلن عبيد الله بأنه المهدي وأمير المؤمنين ، ولذلك تسمى دولتهم (بالعبيديين) ومعظم المؤرخين ينكر نسبتهم إلى فاطمة ويقولون إنهم من نسل ميمون القداح ، وقد انتقلت دولتهم إلى مصر في عهد المعز ، ومن أشهر حكامهم الحاكم بأمر الله الذي ادعى الألوهية سنة٤٠٨ هـ بإيماء من « الدرزي » – وكانت نهاية دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ على يد صلاح الدين .

(تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة – للدكتور أحمد السعيد سليمان ١/١٣١ – ١٣٣ – ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٢ م) .

(٤) الزيدية) سميت بذلك نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان زيد بويع له بالكوفة في أيام هشـام بن عبد الملك . فلما ظهر سمع من بعض اتباعه الطعن في أبي بكر وعمر فأنكر ذلك فتفرق عنه بعض الذين بايعوه فقال : « رفضتموني » فسموا الرافضة ، واتباعه سمو الزيدية ، وهي من أقرب فرق الشيعة إلى مذهب أهل السنة ، والزيديون يفضلون علياً لكن يتولون أبا بكر وعمر ويقرون –

واليمن(١) .

٣ ـ أسباب اقتصادية :

يحاول بعض الباحثين أن يجعل لموضوع المال دوراً في نشوء بعض الفرق ، مستدلا لذلك بأن ظهور حركة الكيسانية وما تفرَّع عنها من ثورة القرامطة والزنج إنما كانت بسبب تسوية المختار بن أبي عبيد بين العرب والموالي في العطاء ، وبما يقال من أن قيام المعتزلة القديمة كان سببه عدم رعاية السلطان لأموال بيت المال . وأخذهم أموال الناس وقولهم إنّ أعمالنا تجري على قدر الله(٢) . . . . . الخ .

إلا أننا نحذر من التساهل في هذا الأمر لئلا يجرُّنَا هذا إلى اعتقاد ما يقوله المبشرون والمستشرقون من أن الفتح الإسلاميَّ وسرعته إنما كان لأهداف اقتصادية لا إسلامية بحتة . وأن المسلمين انطلقوا من بلادهم الصحراوية القاحلة إلى البلاد المجاورة يفتحونها وينعمون بخيراتها . . . وهذه فرية لا تستحق الرد ، فشواهدُ التاريخ ووقائعُ الفتح الإسلامي تكذبها ، أما بالنسبة لما ذكره الباحث المشار إليه من العوامل الاقتصادية وما استشهد به من الوقائع فهي لا تدل إلا على أن هناك دوراً صغيراً جداً للعامل الاقتصادي في نشوء بعض الفرق وهو دور لا يمكن أن يقوم وحده .

= بولا يتهما ، ويرون الخروج على أئمة الجور وقالوا إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار . وهم فرق كثيرة أهمها : الجارودية ، والسليمانية ، والبترية ، واليعقوبية (انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ١/١٣٦ – ١٥٠) .

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور علي سامي النشار ١/٢٢٥ – الطبعة السابعة ١٩٧٧ م دار المعارف بمصر .

(دولة الزيود) ، أهم دولهم التي كانت باليمن ، والأئمة الزيدون يسمون بأئمة صنعا ، وهم امتداد لدولة بني رسي (٣٨٠ – ٧٠٠ هـ) ، ومؤسس إمامة صنعا هو القاسم المنصور بالله بن محمد بن علي الرشيد ، وأسسها سنة ١٠٠٠ هـ واستمرت دولتهم في اليمن إلى أن جاء آخر أئمتهم (البدر) الذي ولى أسبوعاً سنة ١٩٦٢م ثم قامت الثورة اليمنية وأعلنت الجمهورية (أنظر تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة : أحمد السعيد سليمان ١ ـ ٢١٦ – ٢٢٠ – ط دار المعارف بمصر) .

(٢) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/٢٢٥ .

٤ ـ أسباب لغوية :

وما نتج عنها من خلاف حول « التأويل » و « الحقيقة والمجاز » ، وهذه موضوعات تحتاج إلى بحوث مستقلة .

ثالثا : أسباب خارجية :

انتشر الإسلام واتسعت فتوحاته ، ودخل معظمُ أصحاب الديانات المختلفة في الإسلام ، ولقد كانت العقيدة الإسلامية وكل ما انبثق منها من النصاعة والوضوح بحيث استطاع الإسلام أن يغير الواقع كله ، وأن يجعل ما جاء به من عقيدة وإيمان بالله على الوجه الحق يطغى على كل ما استقر في النفوس أو كان عالقاً بها من عقائد وتصورات سابقة ، بل ويمحوها ولا يبقى لها أيَّ كيان .

ولكن . . . — ونحن نؤمن بهذه الحقيقة — يرد علينا السؤال التالي وهو : إذا كان الإسلام قد سيطر وبسط نفوذه وهو الدين الحق فلماذا نشأت الفرق منذ القرن الأول وفرّقت العالم الإسلامي وأثّرت عليه تأثيراً بالغاً ؟

والجواب على ذلك لعله يتضح من إدراك الملاحظتين التاليتين : —

الأولى : أنَّ هناك فرقاً بين من تربي على الإسلام التّربية القوية ، وبين من دخل فيه دون تربية ، وأقرب مثال على ذلك ما حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم — وقد دانت الجزيرة العربية كلها للإسلام ودخلت فيه — فالمسلمون الصادقون الذين تربوا وتعمق الإيمان في قلوبهم ثبتوا في مكة والمدينة والطائف وغيرها ، أما الآخرون ممن لم يتعمق في قلوبهم الإيمان ، ولم يتلقوا الإعداد والتربية فقد ارتدوا ولم يستطيعوا الثبات أمام أول عاصفة . . ألا وهي انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . . .

هذه الصورة تنطبق نفسها على الفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى أقاصي الأرض ، فمع انتشار الإسلام واكتساحه لكل ما هو موجود من عقائد وأفكار ، ومع اقتناع كثير من الناس بهذا الدين الجديد ، وفرحهم ، واستبشارهم به ، وارتياحهم العميق لحكمه وسلطانه مع كل ذلك إلا أن هذا لم يكن مانعاً من نشوء الانحراف الذي دعت إليه هذه الفرق ، ومن وجود بعض الأتباع الذين يؤمنون بما تدعو إليه بل ويتعصبون لها وينشرونها .

والأخرى : أنَّ هناك فئةً من الناس ترفض أن تغير عقيدتها وموروثاتها السابقة ، لأنها أولا شاخت وهي على ما هي عليه من عقيدة ، ولأنها ثانياً تجد في نفوذها وسلطانها مكاسبَ مادية واجتماعية ، فإذا ما جاء الإسلام ونشر عدله بين الناس ، وأخذوا يتجهون إليه ويتركون كلَّ موروثاتهم السابقة أحست هذه الفئة — وهي قطعاً مقتنعة في داخلها أن الإسلام حق وأن ما عندها باطل — أحست أنها ستخسر سلطانها ونفوذها ، ومن ثم اتجهت إلى التظاهر بالإسلام علناً ومحاربته سراً بإضعافه وإحياء عقائدها المنحرفة ، أو محاربته بأساليب ملتوية قد يكون منها ما هو صحيح في ظاهره ولكنه باطل في حقيقته التي يدعون إليه بها .

والأسباب الخارجية لنشأة الفرق الاسلامية هى :

١ ـ اليهود :

عداء اليهود للإسلام منذ بزوغه لا يحتاج إلى بيان ، ولعل اليهود هم أقل الطوائف دخولاً في الإسلام ، وأكثرهم بقاء على عقائدهم ، وحقداً على الإسلام والكيد له ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

ونحن نعلم أنهم أُبعدوا عن جزيرة العرب أولا في عهد الرسول على الله عليه وسلم وأخيراً في عهد عمر رضي الله عنه ، فتوجه بعضهم إلى الشام وبعضهم إلى الكوفة ، وبقي منهم عدد في اليمن ، ودخل بعضُ أحبارهم ومن يتبعهم في الإسلام وهم على حقد شديد على الإسلام يتربصون به في كل لحظة ، فلما رأوا أنَّ علياً — وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج فاطمة — لم يتول الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أضمروا في أنفسهم الفتنة ، فلما قُتل عمر وتولى بعده عثمان — رضي الله عنهما — أخذ داعيتهم المشهور عبد الله بن سبأ(١) يثير الفتنة

---

(١) (عبد الله بن سبأ) : رأس الطائفة السبئية ، وكانت تقول بألوهية علي رضي الله عنه ، أصله من اليمن كان يهودياً فأظهر الإسلام ، وجهر ببدعته في مصر ، ومن مذهبه رجعة النبي فكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب برجوع محمد . ويقال للسبئية الطيارة لزعمهم أن موتهم طيران نفوسهم وهم يقولون بالتناسخ والرجعة — مات ابن سبأ سنة ٤٠ هـ ويقال : إن علياً حرقه بالنار — (الأعلام للزركلي ٤/٢٢٠) .

ويدعو لعليّ ، ويوحي بفكرة الإمام المعصوم ، بل وينادي بألوهية علي بن أبي طالب ، وثارت الفتنة واستشهد عثمان – رضي الله عنه – ووقع على المسلمين من المحن بسببها مالا يعلمه إلا الله(١) .

وظهرت على أثر هذه الفتنة العظيمة فرقة الشيعة(٢) والخوارج (٣) ، كما أن أفكار الرجعة (٤) والبداء (٥)

---

(١) انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : النشار ٦٨/١ – الطبعة السابعة ١٩٧٧ م .

(٢) (الشيعة) : هم الذين شايعوا علياً وقالوا : إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنص الجلي أو الخفي ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن ولده ، وإن خرجت فبظلم أو تقية منه أو من أولاده ، ويقولون إن الإمامة من أصول الدين ، وإن الأئمة معصومون وهم فرق كثيرة جداً وأصولها ثلاث غلاة وزيدية وإمامية (الملل والنحل للشهرستاني ١٤٦/١ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوني حققه الدكتور لطفي عبد البديع ، وترجم النصوص الفارسية الدكتور عبد المنعم محمد حسنين ٤ / ١٣٦ – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٧٧ م) .

(٣) (الخوارج) سموا بذلك لخروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد التحكيم ، ويسمون أيضاً الحرورية ، والنواصب ، والشراة . واجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب لأنه حكم ، وهم مختلفون على كفره شرك أم لا ! وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا « النجدات » ، وقالوا بأن صاحبها مخلد في النار – وهم فرق كثيرة أهمها : النجدية ، والعطوية ، والعجاردة ،والأباضية ، والأزارقة ، والبهيسية ، والصفرية – والخوارج موجودون إلى الآن .
(أنظر مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٧ وما بعدها) .

(٤) (الرجعة) من أصول الشيعة ومعناها رجوع بعض الذين ماتوا قبل يوم القيامة ، والشيعة قالوا برجوع محمد بن الحنفية لما مات سنة ٨١ هـ ومعه أربعون شخصاً من أتباعه ، ووسع الشيعة معنى الرجعة فقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم والوصي والسبطين وأعداءهم (الخلفاء الثلاثة ومعاوية ويزيد ومروان وابن زياد وأمثالهم) وكذا الأئمة الآخرين يحيون بعد ظهور المهدي ، ويعذب من ظلم الأئمة ثم يموت الجميع ويبعثون يوم القيامة .

(انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ص ١١١ وما بعدها – وانظر مختصر التحفة الاثنى عشرية – محمود شكري الألوسي ص ٢٠٠ حققه وعلق عليه محب الدين الخطيب – ط الثانية ١٣٨٧ هـ المطبعة السلفية القاهرة) .

(٥) (البداء) هو ظهور الرأي بعد أن لم يكن ، والشيعة جوزوا على الله البداء ، ومعناه أن الله يريد شيئاً ثم يبدو له أي يظهر له ما لم يكن ظاهراً له ، ولذلك لما مات اسماعيل بن جعفر في حياة أبيه وكان قد أعده للإمامة فقال جعفر (كما يروي الشيعة) : إن الله قد بدا له في إمامة إسماعيل . ولذلك فالشيعة يقولون إن الأنبياء يخافون من الله لعلمهم أن الله قد يبدو له في أمرهم فيعذبهم – تعالى الله عن قولهم – (انظر : =

والمهدي(١) والأسباط(٢) وغيرهما من آراء شيعية غالبة ، يهودية الأصل ، كما أن « الكيسانية » وهي أخطر فرق الشيعة الغالية قد تأثرت أشــد تأثر بالآراء اليهودية (٣) ، ووضــع اليهود كثيراً من الأحاديث الإسرائيلية المكذوبة مما كان له دور في ظهور فرقة المشبهة والمجسمة(٤) . وفرقة الباطنية(٥) والاسماعيلية كان لليهود دور في بروزهما . ويرى البعض أن القداح — منشيء الاسماعيلية — وأولاده كانوا يهوداً من الفرقة العيسوية(٦) .

= التعريفات للجرجاني ص ٢٤ — وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٢٥/١ — والصلة بين التصوف والتشيع ص ١٠٢ وما بعدها) .

(١) (المهدي) عند الشيعة صاحب الزمان الذي يخرج ويقيم دولة الشيعة ، وأول مهدي عندهم محمد بن الحنفية ، وهو عند الاثنى عشرية محمد بن الحسن العسكري الذي ينتظرون خروجه في كل عام .

(٢) (الأسباط) أصل معني الأسباط عند اليهود الأمم — كما نص القرآن — حين قسمهم الله إلى اثنى عشر سبطاً — أما عند الشيعة : ففكرة العدد سبعة كما هو عند الغالية منهم ، والعدد اثنى عشر كما هو عند الإمامية منهم مأخوذة من هذا . وأولا د علي وأحفاده كلهم أسباط .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلا م — النشار ٦٨/١ .

(٤) (المشبهة) هم الذين شبهوا الله تعالى بالمخلوقات ومثلوه بالمحدثات ، وهم صنفان : صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره ، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره ، والمشبهة فرق كثيرة زعموا أن الله يشبه بعض الأجسام والروحانيات . وأهم فرق المشبهة : السبئية ، والهشامية واليونسية ، ومن أشهرهم داود الجواربي . (انظر : التعريفــات للجرجاني ص ١١٤ — والفرق بين الفرق ص ٢٢٧ والملل والنحل ١٠٥/١) .

(والمجسمة) : إحدى فرق المشبهة وهم الذين أطلقوا على الله لفظ الجسم ، أو جسموا شيئاً من صفاته الذاتية ، وأشهر فرق المجسمة : الكرامية أتباع محمد ابن كرام الذي توفي سنة ٢٥٥ هـ والذي دعا إلى تجسيم معبوده ، وهم فرق متعددة (أنظر الملل والنحل ١٠٨/١ ، والفرق بين الفرق ص ٢١٥ — ٢١٦ — وكشاف اصطلاح الفنون جـ ٤ ص ١٩٤ — ١٩٥) .

(٥) (الباطنية) : هم طائفة تدعي أن لظواهر النصوص بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر ، وما يفهم منها الناس من ظواهر هي عندهم رموز وإشارات إلى حقائق معينة . وإذا ارتقى الإنسان إلى علم الباطن هذا انحط عنه التكليف — وغرضهم إبطال العقيدة والشريعة . والباطنية من أخطر الفرق وقد عملت سراً على الكيد للاسلام وأهله منذ عهد الصحابة ، وهم فرق متعددة أهمها : الإسماعلية ، القرامطة ، البابكية ، السبعية ، النصيرية ، الدروز ، اخوان الصفا . (فضائح الباطنية : الغزالي ص ١١ وما بعدها — مذاهب الإسلاميين الجزء الثاني) .

(٦) أنظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : النشار جـ ١ ص ٦٨ و ٧٠ و ٨٨

(وفرقة العيسوية) : هي إحدى فرق اليهود نسبوا إلى ابي عيسى اسحاق ابن يعقوب الأصفهاني ، =

وهكذا فاليهود كانت لهم أدوار خطيرة في نشوء كثير من الفرق وخاصة الغالية منها ، ولا يزال اليهود وإلى الآن يكيدون للإسلام والمسلمين بشتى الوسائل والأساليب على شكل لا يجاريهم فيه أحد .

٢ ـ النصارى :

وردت في القرآن الكريم آيات ترد على النصارى في عقيدتهم ، وتبين وجه الحق فيها ، وتناقش النصارى وتفضح افتراءاتهم وتحريفهم لكتابهم الإنجيل . ولئن كانت حدة الصراع بين الإسلام والنصرانية أقل منها مع اليهود إلا أن الاحتكاك قد حدث خاصة بين مهاجري الحبشة من الصحابة والنصارى فيها ، وحين جاء وفد من نصارى نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما فتح المسلمون بلاد الروم ودخل كثير من النصارى الإسلام كان من هؤلاء من يضمر العداء للإسلام وأهله ، خاصة وأن المعارك الحربية مع بقايا الدولة الرومانية استمرت وقتاً طويلاً .

ولما ظهرت حركة علماء الكلام المسيحي(كلميان واوريجين) ، وصار الجدل بين طوائفهم المختلفة على أشده حول الإله، وصفاته ، والنبوة ، والوحي ، وحرية الإرادة ، وطبيعة المسيح ، فاحتك بهم المسلمون ، وجرت بينهم مناقشات تسلح كل من الفريقين بسلاح الجدل والفلسفة والمنطق اليونانيفكان لذلك أثره في ظهور بعض الآراء عند المسلمين حول القدر وصفات الله(١) .

= الذي بدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان ابن محمد ، فاتبعه بشر كثير من اليهود ، وادعوا له آيات ومعجزات ، وقد حاربه المنصور . زعم أبو عيسى أنه نبي ، وأنه رسول المسيح المنتظر ، وزعم أن الله كلمه وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من الأمم العاصين والملوك الظالمين ، وزعم أن المسيح أفضل ولد آدم ، وحرم الذبائح كلها وأوجب عشر صلوات ، وخالف كثيراً من أحكام التوراة . (الملل والنحل ج ١ ص ٢١٥ – ٢١٦) .

(١) انظر تاريخ الفكر الفلسفي / أبو ريان ص ١٣٧ – وانظر أيضاً : الفلسفة الإسلامية وملحقاتها : عمر رضا كحالة ص ١١٥ – مطبعة الحجاز بدمشق ١٣٩٤ هـ – وانظر أيضاً ضحى الإسلام : أحمد أمين ٣/٧ ، وانظر نشـأة الفكر الفلسفي في الإسلام : النشار ج ١ ص ٩٠ وما بعدها .

واشتهرت شخصية نصرانية كان لها دور كبير في الدفاع عن المباديء النصرانية عرفت باسم (يحي الدمشقي) يشيد بها (بروكلمان) فيقول: «وكان النصارى في عهد بني أمية لا يستغنى عنهم في تدبير السياسة، كما كان عدد من النصارى قائمين على تدبير الخراج، وكان لكثير منهم جاه عند الخلفاء(١) فاختلط بهم المسلمون في دمشق، وكانوا يتحدثون إليهم في أمور الدين، ومن هؤلاء يحى الدمشقي (المتوفي ٦٧٦ م) آخر كبار العلماء بالعقائد على مذهب الكنيسة الإغريقية، وكان أبوه صاحبَ عبد الملك بن مروان، وقد صنف يحى كتاباً في فضائل النصرانية على نهج محادثة بين مسلم ونصراني، فلم يكن عرضاً أن ظهرت عند المرجئة والقدرية في الشام آراء يحى الدمشقي(٢)».

كما أن هناك نصرانياً آخر كان له دور في نشأة القول بالقـــدر واسمه «سوسن»(٣).

٣ ـ الفلسفة اليونانية :

بدأت الترجمة ـ كما هو مشهور ـ في العصر العباسي وازدهرت وبلغت أوجها في عهد المأمون(٤)، وكانت الترجمة تشمل كل موضوعات الفلسفة اليونانية: الإلهيات، الطبيعيات، الرياضيات، المنطق، الفلك، ولا شكّ أنّ تلك الترجمة

---

(١) نحن هنا لا نناقش مثل أفكاره هذه، فأسلوب المستشرقين في الرفع من شأن النصارى معروف، ونحن لا نأخذ كلامه قضية مسلمة، بل تستشف منه أثر النصارى في نشوء الفرق.

(٢) تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان – ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ٢٥٦/١، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر – وانظر حول هذا: الحياة العلمية في الشام: خليل داود الزرو ص١٢٣ وما بعدها – الطبعة الأولى ١٩٧١ م. ويقول توماس ارنولد: «من المحتمل أن تكون القدرية أوالقائلون بالإرادة الحرة من المسلمين قد استعاروا نظريتهم في حرية الإنسان من المسيحية مباشرة» (الدعوة إلى الإسلام – ص ٩٣ – ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، اسماعيل النحراوي – الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م).

(٣) انظر الحياة العلمية في الشـــام ص ١٢٧.

(٤) انظر وفيات الأعيان ٢٠٥/١، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٣٦ – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٨ م وهناك من يرى أن الترجمة بدأت في العصر الأموي، انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١٠٣/١.

بذلك المستوى كان لها أثر كبير جداً على الفكر الإسلامي عموماً ، وعلى كثير من الفرق بوجه أخص .

ومن ثم نرى بعضهم قد درسها على أنها علمٌ يستفيد منه في حياته ويضيف إلى معارفه علماً جديداً ، ولكنه ما لبث أن أشربها فصارت جزءاً من حياته ، وأصبح بالتالي داعيةً لها معتقداً أن فيها العلومَ الحقةَ لأنها تقوم على البحث العقلي المجرد ، وما سوى ذلك أمور سطحية لا تصلح إلا للعوام فقط ، كما هي الحال بالنسبة لمن يسمون بفلاسفة الإسلام كابن سيناء والفارابي وغيرهما ونرى بعضهم قد درسها وتعلمها ليستفيد مما فيها من طرائق الجدل والمناظرة حتّى يقفوا بها أمام خصومهم ، ويقيموا الدليل على ما لديهم من عقائد وأفكار ، وهكذا تأثر الجميع بما تُرجم من كتب الفلاسفة على مختلف مشاربهم وآرائهم .

ولكن أرى لزاماً — في هذه المناسبة — أن أشير إلى من رد على الفلاسفة من علماء الإسلام كابن تيمية والغزالي(١) ، علماً بأن هناك فرقاً بين الرجلين ، فالغزالي درس الفلسفة في أول الأمر معجباً بها ، وليستفيد منها فلما تعمق فيها وتمكن منها — أو بالأحرى تمكنت منه — عدل عنها إلى منهج آخر وأخذ ينقدها ويردُّ عليها بعنف ، لكنه في النهاية لم يسلم من التأثر بالمنهج الفلسفي(٢) ، فبقي منهجه غيرَ منتظمٍ على أسلوب معين . أما شيخُ الإسلام ابن تيميّة فقد كان — من أول الأمر — ذا منهج محدد واضح استمر عليه في جميع بحوثه ومناقشاته ، ولما رأى أن منهجَ الفلاسفة غيرَ صحيح نقده ورد عليه بقوة وبصورة عجيبة ، ولم يتأثر بها ولم تؤثر عليه حين درسها ونقدها .

ومع النقد الذي وجه للفلسفة من جانب البعض من علماء الإسلام إلا أن آثارها بقيت على بعض الفرق : فَالْفِيثَاغُورِيُّونَ(٣) أثروا على بعض الشيعة بفكرة العدد

---

(١) ابن تيمية في غالب كتبه وعلى الأخص : درء تعارض العقل والنقل ، ونقص المنطق ، والرد على المنطقيين ، ومنهاج السنة ، أما الغزالي ففي بعض كتبه وأهمها تهافت الفلاسفة .

(٢) انظر : الفلسفة الإسلامية وملحقاتها : عمر رضا كحالة ص ١١٧ .

(٣) (الفيثاغوريون) : هم جماعة من فلاسفة اليونان ينسبون إلى « فيثاغورس » « عاش بين — ٥٧٢ — ٤٩٧ — ق . م) ، ولد في جزيرة ساموس ، ثم قصد جنوب إيطاليا وأنشأ فيها الجمعية الفيثاغورية ،=

وقداسته ، كما هي الحال عند الاثنى عشرية الإماميّة(١) ، كما أثروا على إخوان الصفا(٢) ، ولم تصادف رسائل اخوان الصفا أي قبول من مفكري الإسلام ، بل أعلن المتكلمون من شيعة وسنة أنها اسماعيلية وضعت لتقويض العقائد الإسلامية بما حوته من مذاهب يونانية وفارسية — أي : غنوصية — ونسبت دائماً إلى الباطنية والقرامطة(٣) . وفكرة النار عند « هرقليطس »(٤) تظهر لدى بعض الطوائف

=وهي جمعية ذات نزعة صوفية وفلسفية ، وقالوا بالقدر وبتقديس عدد عشرة وقالوا إن العدد هو أصل الكون وأصل لمادته ، وأخذوا يطبقون المعنويات في العدد ، ولهم آراء فلكية معروفة ، ويعتقد الفيثاغوريون أن النفس مسجونة في البدن ثم تتخلص منه عن طريق الموت ثم تنسخ إن كانت شريرة إلى إنسان آخر أو حيوان . (ربيع الفكر اليوناني — عبد الرحمن بدوي ص ١٠٦ — ١١٦ . ط . الرابعة ١٩٦٩ م — وتاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم ص ٢٠ — ٢٦ — وقصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين — زكي نجيب محمود ص ١٩ — ٢٥) .

(١) (الإمامية) : سموا بذلك لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب ، وهم يسمون (الرافضة) لأنهم رفضوا متابعة زيد بن علي بن الحسين لما نهاهم عن الطعن في أبي بكر وعمر ، وقيل لأنهم رفضوا الدين ، وقيل : لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر — والإمامية يكفرون جميع الصحابة إلا قلة منهم ، ويقولون إن الإمامة لا تكون إلا بنص ، وهم يقولون بعصمة الأئمة ، وبمبدأ التقية ، وبالرجعة ، والمهدي ، إضافة إلى الإمامة التي هي من أصولهم ، والإمامية يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق ، ثم اختلفوا في المنصوص عليه بعده ، والذي استقر رأيهم عليه أنه ابنه موسى الكاظم ، ثم أوصلوهم إلى الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري والذي يزعمون أنه المهدي المنتظر .

(انظر : مقالات الإسلاميين ٨٨/١ ، وكشاف اصطلاح الفنون ١٣٣/١) .

(٢) (اخوان الصفا) : هم جماعة نشأت حوالي منتصف القرن الرابع الهجري ، حيث كان الناقمون على الخلافة يتستّرون بالتشيع ومن هؤلاء اخوان الصفا ، وهم فرقة من فرق الباطنية تهدف ظاهراً إلى التآلف والتصافي . والذي دعاهم إلى ذلك كما حكاه أبو حبان في الإمتاع والمؤانسة : أن « الشريعة (بزعمهم) دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية » (٥/٢) ، فمذهب اخوان الصفا مزيج من أقوال الفلاسفة والباطنية ، والاسماعيلية ، والفيثاغورية ، والمعتزلة ، وهم يتظاهرون بالتشيع ، ولهم مذهب في الكواكب والأفلاك وأثرهما في عالم الكون والفساد ، ويقولون بالفيض العقلي والحدوث السفلي ، وهم ينظمون أنفسهم ويركزون دعوتهم على الفتيان) انظر : اخوان الصفا : د . جبور عبد النور ، ص ٤ — ٥٣ — ط دار المعارف بمصر ١٩٦١م ، وانظر : الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي جـ ٢ ص ٥ وما بعدها — صححه : أحمد أمين — أحمد الزين — ط : منشورات دار مكتبة الحياة : لبنان) .

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : النشار ١٢٩/١ .

(٤) (هرقليطس) : من فلاسفة اليونان عاش بين (٥٤٠ — ٤٨٥ — ق . م) ، من أهم أقواله أن=

الصوفيّة(١) ، كما أثّر أيضاً في إخوان الصفا . و « ديموقريطس »(٢) بفلسفته أثر على المعتزلة وبعض الأشاعرة . والسُّوفَسْطَائِيُّونَ(٣) أثروا على الجاحظ(٤) ، والنظّام(٥) ، من المعتزلة ، كما أن الرواقيين الروحيين قد أثروا بأقوالهم في الحرية

= الأشياء في تغير مستمر ، والنار هي المبدأ الأول الذي تصدر عنه الأشياء ، ويقول بوحدة الوجود (انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم ص ١٧ – ١٩) .

(١) (الصوفية) هم من يدين بالتصوف ، وهو مذهب يدعي أصحابه أن الغرض منه تصفية القلب من غير الله والصعود بالروح إلى عالم التقديس بإخلاص العبودية لله ، وأصل كلمة التصوف من ليس الصوف لاختصاص أصحابه به ، وقيل إنها من الصفا ، وقيل نسبة لأهل الصفة ، والأول أرجحها ، والصوفية رموز وإشارات وأحوال ومقامات مختلفة (دائرة معارف القرن العشرين ٥/٥٨٥) وينبغي أن يعلم أن من يسمون « الصوفية » ثلاثة أقسام : ١ – صوفية وحدة الوجود وهؤلاء كفار بلا شك . ٢ – المتصوفة المنحرفون ، أصحاب الطرق ، المبتدعون في العبادات والأذكار واتخاذ المشايخ مع قيامهم بأصول الإسلام ، فهؤلاء منحرفون مبتدعون ضالون . ٣ – الزهاد من أهل الإسلام من السنف فهؤلاء يسمون الصوفية خطأ لأنهم سائرون على منهج الإسلام الصحيح .

(٢) (ديموقريطس) من فلاسفة اليونان عاش بين سنتي ٤٧٠ – ٣٦١ – ق . م) ، وخلاصة مذهبه أن هناك ذرات مادية غاية في الدقة وضعت في خلاء غير متناه تتحرك فيه فتتلاقى وتفترق ، فيحدث بتلاقيها وافتراقها الكون والفساد . (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٣٨) .

(٣) (السوفسطائيون) : السفسطة قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته ، والسوفسطائيون : جماعة من فلاسفة اليونان وزعيمهم بروتاجوراس الذي ولد سنة ٤٨٠ ق . م ونظريتهم تقوم على أنه ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا فما يظهر للشخص أنه حقيقة يكون هو الحقيقة له فإذا رأى السراب ماء فهو عنده حقيقة ماء – والسوفسطائية يقسمها التهانوني إلى ثلاث فرق : العنادية – والعندية – واللا أرادية . (أنظر : التعريفات للجرجاني ص ٦٣ وقصة الفلسفة اليونانية : أحمد أمين ، زكي نجيب محمود ص ٦٢ – ٧٢ – وكشاف اصطلاح الفنون ٣/١٧٣ – وربيع الفكر اليوناني : عبد الرحمن بدوي ص ١٦٥) .

(٤) (الجاحظ) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، أبو عثمان الجاحظ ، من أئمة الأدب ورئيس فرقة « الجاحظية » إحدى فرق المعتزلة ، ولد سنة ١٦٣ هـ في البصرة ،وفلج في آخره عمره فمات حين وقعت عليه مجموعة من الكتب سنة ٢٥٥ هـ في البصرة – له كتب كثيرة جداً منها : الحيوان – البيان والتبيين – البخلاء ، فضيلة المعتزلة . وغيرها (الأعلام ٥/٢٣٩) .

(٥) (النظام) هو إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري ، أبو اسحاق النظام ، من أئمة المعتزلة ، تبحر في علوم الفلسفة وإليه تنسب فرقة (النظامية) ، له كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال ، وهو متهم بالزندقة وقد ألفت كتب في الرد عليه وتكفيره – توفي سنة ٢٣١ هـ (الأعلام ١/٣٦) .

الإنسانية ، وأن الاستطاعة الإنسانية تقارن هذه الحرية على بعض الفرق القائلين بالقــدر(١) .

كما أننا نرى بعض المعتزلة يتكلمون في الطّفْرة (٢) والتوالد(٣) والجوهر(٤) والعرَض(٥) وكلٌّ ذلك من صميم الفلسفة اليونانية(٦) . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا : « ثم حدث بعد هذا (يقصد الطرق الكلامية التي ابتدعتها الجهميةُ والمعتزلةُ) في الإسلام الملاحدةُ من المتفلسفة وغيرهم ، حدثوا وانتشروا بعد انقراض العصور المفضَّلة ، وصار كلُّ زمانٍ ومكانٍ يضعف فيه نور الإسلام يظهرون فيه » (٧) .

---

(١) أنظر فيما سبق : نشأةالفكر الفلسفي في الإسلام : النشار حـ ١ ص ١٣٦ وما بعدها ، ومعروف عن المعتزلة أنهم تسلحوا بسلاح الفلسفة اليونانية وما فيها من منطق وما امتزج بها من لاهوت .

(انظر : منهج الزمخشري في تفسير القرآن . د . مصطفى الصاوي الجويني ص ٦٦ – ط دار المعـارف ١٩٦٦ م .

(٢) (الطفرة) اشتهر بها النظام من المعتزلة ومعناها عنده : أن الجسم قد يكونفي مكان ثم يصير منه إلى المكان الثالث أو العاشر منه من غير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر ، ومن غير أن يصير معدوماً في الأول ومعاداً في العاشر . (الفرق بين الفرق ص ١٤٠ – تحقيق محمد محي الدين) .

(٣) (التوالد) أو التوليد هو : أن يحصل الفعل من فاعله بتوسط فعل آخر كحركة المفتاح بحركة اليد . (التعريفات . الجرجاني ص ٣٦) . والمعتزلة يقولون : فعل الإنسان وما تولد عنه من خلقه هو ، فالضرب وما يتولد عنه من الألم كلاهما من فعل الإنسان ، وأول من تكلم بفكرة التولد أبو هذيل العـلاف وعامة المعتزلة يقولون بها (انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ج ٩ «التوليد» ، ونشأة الفكر الفلسفي ٤٧٩/١ .

(٤) (الجوهر) ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع ، وهو منحصر في خمسة : هيولي ، وصورة ، وجسم ونفس وعقل – (التعريفات – الجرجاني ص ٤٣) .

(٥) (العرض) : هو ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاؤه بعد وجوده (التعريفات ص ٨٩) .

(٦) انظر : ضحى الإسلام : أحمد أمين جـ ٣ ص ٨ – ٩ .

(٧) منهاج السنة النبوية ١١٤/١ – نشر مكتبة الرياض الحديثة ، وانظر في موضوع أثر الفلسفة اليونانية : الفكر الإسلامي منابعه وآثاره : أحمد شلبي ص ٩٩ وما بعدها ، ط السادسة ١٩٧٨ ، وانظر : تاريخ المذاهب الإسلامية : أبو زهرة ١٤/١ ، وانظر : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام : أبو ريان ص ١٤٠ .

٤ ـ الغنوصية والوثنية :

أصل معنى « الغَنُّوص » المعرفة ، والمقصود بها التوصل بنوع الكشف إلى المعارف العليا ، أو هو تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً (١) ، ويدخل في الغنوصية كل الفرق الوثنيّة والمجوسيّة : مثل الزّروانيّة(٢) ، والزرادشتية ، والدَّيصانية(٣) والمانوية(٤) ، والمزدكية(٥) ، وغيرها ، كما تدخل فيها المذاهب الهندية كالبراهمة(٦) والتناسخية(٧) وغيرها .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : النشار ١٨٦/١ .

(٢) (الزروانية) : إحدى فرق المجوس القائلين بأصلين مدبرين ، إلا أن الزروانية يقولون إن النور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية ، نورانية ، ربانية ، ولكن الشخص الأعظم الذي اسمه زوران شك في شيء من الأشياء فحدث أهرمن الشيطان يعني إبليس ، ولهم روايات غريبة في قصة إبليس والملائكة مع ربهم وهم يزعمون أن إبليس كان لم يزل في الظلمة والجو خلاء بمعزل عن سلطان الله ثم لم يزل يزحف ويقرب حتى دخل في النور ومعه الشرور والآفات (الملل والنحل ج ١ ص ٢٣٤ – ٢٣٥) .

(٣) (الديصانية) إحدى فرق الثنوية ، وهم أتباع ديصان ، اثبتوا أصلين نورا وظلاما ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً ، والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، وزعموا أن النور حي عالم قادر ، حساس دراك ، ومنه تكون الحركة والحياة . والظلام ميت ، جاهل ، عاجز ، جماد لا فعل له ولا تمييز (الملل والنحل ٢٥٠/١ – ٢٥١) .

(٤) (المانوية) ، إحدى فرق الثنوية ، وهم أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر زمن سابور بن أردشير وقال : إن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين النور والظلمة ، وأنهما أزليان ، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم ، وزعم أنهما لم يزالا قويين ، حساسين ، دراكين ، سميعين بصيرين ، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان ، وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل (الملل والنحل ٢٤٤/١) .

(٥) (المزدكية) : وهم أصحاب مزدك الذي ظهر أيام قباذ والد أنوشروان ، قال بقول المانوية إلا أنه كان يقول إن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، وقد أحل مزدك النساء والأموال وجعل الناس شركة فيها (الملل والنحل ج ١ ص ٢٤٩ – ٢٥٠) .

(٦) (البراهمة) هي ديانة الهندوس في الهند ، وبراهما هو أكبر الآلهة الثلاثة التي يعبدونها ، والآخران هما سيفا : الإله المخرب ، ويشنو : الذي حل في المخلوقات ، وهم يعبدون آلهة وأهمها البقر ، وكتابهم المقدس هو(الويدا) وهم يقسمون الشعب إلى طبقات . (أنظر : مقارنات الأديان : الديانات القديمة ، محمد أبو زهرة ص ٢٣ – ٢٩ ط .دار الفكر العربي – وانظر : الديانات والفرق والمذاهب المعاصرة : عبد القادر رشيبة الحمد ص ٥٨ وما بعدها) .

(٧) (التناسخية) هم الذين يقولون بتناسخ الأرواح ليقع الجزاء على الأرواح فإذا خرجت الروح من جسم صاحبها وعليه ديون أو ذنوب فإنها تحل في جسد شخص آخر أو حيوان ، وأغلب ديانات الهند يقولون بهذا كالبوذية والبرهمية (انظر : الديانات والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٦٣) .

وأكبر أثر على العالم الإسلامي إنما هو في نشوء التصوف المنحرف ، والذي يصل إلى القول بوحدة الوجود كما هو قول كبار الصوفية كالحلاَّج(١)، وابن عربي(٢) وابن سَبْعِيْن(٣)، والشَلْمَغَاني(٤) والسَّهْرَوَرْدِي(٥) ، والشَّشْتَرِي (٦) ، وغيرهم . (٧) ولا شك أن من أخطر ما يواجه العالم الإسلامي اليوم الفكر الصوفي المنحرف بطرقه ومدارسه وشيوخه . والله أعلم .

---

(١) (الحلاج) هو الحسين بن منصور الحلاج ، أصله من فارس وظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ ، وكان ينشر طريقته سراً ، كان متشيعاً صوفياً يقول بحلول الإلهية فيه ، سجنه المقتدر العباسي وقتل ونصب رأسه على جسر بغداد ، وادعى أصحابه له الكرامات حتّى زعموا أنه لم يقتل – له كتب كثيرة ، وكان قتله سنة ٣٠٩ هـ . (الأعلام ٢/٢٨٥) .

(٢) ابن عربي: هو محمد بن علي بن عربي أبو بكر الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر ، فيلسوف ، من أئمة المتكلمين ، ولد سنة ٥٦٠ هـ في مرسية بالأندلس ، رحل إلى المشرق وأنكر عليه أهل مصر وأهدروا دمه وحبس ، ثم أخرج ، واستقر ومات في دمشق سنة ٦٣٨ هـ ، وهو من كبار الصوفية القائلين بوحدة الوجود له أربعمائة كتاب ورسالة . منها الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم – (الأعلام جـ ٧ ص ١٧٠ – ١٧١) .

(٣) (ابن سبعين) : هو عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي ، كان صوفياً على قواعد الفلاسفة ، له تصانيف وأتباع يسمون بالسبعينية ، ولد سنة ٦١٣ هـ وتوفي سنة ٦٦٨ هـ – أو – ٦٦٩ هـ بمكة ، وهو من القائلين بوحدة الوجود ، ومن كتبه : الحروف الوضعية ، وبد العارف ، وغيرها . (الأعلام ٤/٥١ ، ودائرة معارف القرن العشرين ٥/٢٦ ، وكتاب ابن سبعين وفلسفته الصوفية : أبو الوفا عنيمي ط الأولى ١٩٧٣ م .

(٤) (الشلمغاني) : أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني ، يعرف بأبي العزاقر متأله مبتدع ، كان إمامياً وألف كتباً عنها ، ثم ادعى أن اللاهوت حل فيه ، وأحدث شريعة جاء فيها بالغريب ، وتبعه ناس فأفتى علماء بغداد بإباحة دمه فأمسكه الراضي بالله العباسي وقتله وأحرق جثته ، إليه تنسب الفرقة العزاقرية ، كان قتله سنة ٣٢٢ هـ – (الأعلام ٧ / ١٥٧) .

(٥) (السهروردي) : هو يحي بن حبش بن أميرك أبو الفتوح ، ولد في سهرورد في العراق العجمي ، كان منحل العقيدة فأفتى العلماء بإباحة دمه فسجنه الملك الظاهر غازي وخنق في سجن حلب ، ولد سنة ٥٤٩ هـ له كتب منها التلوكات ، هياكل النور ، ومقامات الصوفية ، قتل سنة ٥٨٧ هـ (الأعلام ج ٩ ص ١٦٩ – ١٧٠) .

(٦) (الششتري) علي بن عبد الله النميري الششتري . متصوف أندلسي تنقل في البلاد ومعه فقراء يخدمونه . توفي بالقرب من دمياط ودفن بها سنة ٦٦٨ هـ ، من كتبه ، العروة الوثقى ، المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية (الأعلام ٥/١٢٠) .

(٧) انظر نشأة الفكر الفلسفي : النشار ١/١٨٦ ، وانظر الحياة العلمية في الشام ص ١٢٨ ، – وانظر في موضوع نشأة الفرق : مباحث في علم الكلام والفلسفة للدكتور علي الشابي ص ٢١ وما بعدها – ط الأولى -- دار بوسلامة . تونس ١٩٧٧ م .